10me Année No. 481

Lundi - 21 - 9 - 1942

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة

٦٠	فى مصر والسودان
٨٠	فى الأقطار العربية
١٠٠	فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠	فى العراق بالبريد السريع
١	عن العدد

الاعلانات

يتفق عليها مع الإدارة

صاحب المجلة ومديرها

ورئيس تحريرها المسئول

احمد حسن الزيات

الادارة

ار الرسالة بشارع السلطان حسين

رقم ٨١ — عابدين — القاهرة

تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العـــدد ٤٨١ « القاهرة فى يوم الإثنين ١٠ رمضان سنة ١٣٦١ — الموافق ٢١ سبتمبر سنة ١٩٤٢ » السنة العاشرة

الفهرس

صفحة		
٨٩٣	ما يمكن تبديله	الأستاذ عباس محمود العقاد
٨٩٦	تحية الأزهر فى عيده ...	الأستاذ محمد محمد المدنى ..
٨٩٨	الحديث ذو شجون : فرحة الأديب بالأديب — عصا إلياس — مع الأستاذ علوبة باشا — هلال شعبان وهلال رمضان — تقليد جيل — آداب إسلامية	الدكتور زكى مبارك ... ...
٩٠١	تاريخ التاريخ	الدكتور محمد مصطفى صفوت
٩٠٣	طلاب الالتحاق بالجامعة ...	الأستاذ عبد الله حسين ...
٩٠٤	مفاوضات الفتح العربي لمصر	الأستاذ السيد يعقوب بكر
٩٠٧	رمضان	الأستاذ يحيى محمد على ...
٩٠٨	شهداء المعلمين [قصيدة]	الأستاذ على الجندى ...
٩٠٩	صرخة الألم ... «	الأديب عبد العليم عيسى . .
٩١٠	العيد الألفي للجامع الأزهر	....
٩١٠	« تاريخ الجامع الأزهر فى العصر الفاطمى »	....
٩١٠	مكتبة المستشرق المجرى « جولد زيهر »	....
٩١٠	مقدمة « أسكار وايلد » فى الفن	الأستاذ عبد الوهاب الأمين
٩١١	البطريرك	الأديب رضوان الموادلى . .
٩١١	« شهاب ثاقب »	....

ما يمكن تبديله

للأستاذ عباس محمود العقاد

فى عدد مضى من (الرسالة) تعقيب على كتاب « عبقرية محمد » يستدعى التعقيب عليه ، لأن الكلام فيه باب من الكلام فى الأدب والتاريخ

ونريد به ملاحظة الأديب « عبد النجار » على ما كتبناه. عن رواية النبى عليه السلام للشعر إذ يقول : (... فى ص ١٤٤ يذكر أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يتمثل بشطرات من أبيات يبدل وزنها كلما أمكن تبديله . فكان يقول مثلاً : « ويأتيك بالأخبار من لم تزود » لأنها لا تقبل التبديل ، ولكنه إذا نطق بقول سحيم بنى الحسحاس « كفى الشيب والإسلام للمرء ناهيا » قدم كلمة الإسلام فقال : « كفى الإسلام والشيب للمرء ناهيا)

ثم يعقب الأديب فيقول : (وتقسيم ما يتمثل به الرسول عليه الصلاة والسلام إلى ما يمكن تبديله لم يورد المؤلف ما يؤيده ويقتضيه . والمثال الذى ذكره لما لا يمكن تبديله غير صحيح ، فإن تبديله ممكن ، وقد روى أن الرسول عليه الصلاة والسلام تمثل به هكذا « ويأتيك من لم تزود بالأخبار » . راجع السيرة الحلبية فى باب الهجرة إلى المدينة)

* * *

والذى نعقب به على تعقيب الأديب هو الكلام فيما يمكن تبديله من الشعر والنثر وكل ما له معنى من القول

فإذا كان المقصود بالتبديل هو نقل كلمة فى موضع كلمة بغير نظر إلى المعنى والسياق فالتبديل ممكن فى كل كلام بلا استثناء ؛ إذ ليس للكلام قوة مادية تمنعك أن تقدم فيه وتؤخر كما تشاء ، وفى وسع كل قارئ أن يعمد إلى كتاب من الكتب فيقرأه عكساً وطرداً ومن أسفله إلى أعلاه ويضع الأول فى موضع الوسط والوسط فى موضع الأول ، ثم يعود فيصنع به مثل ذلك إلى غير انتهاء ، فلا يستعصى عليه عصى ولا يحول دونه حائل

وليس هذا بالبداهة هو التبديل المقصود حين نقول بإمكان التبديل أو استعصائه ، وإنما المقصود هو التبديل مع بقاء المعنى وبقاء المزية الكلامية أو المزية البلاغية التى من أجلها كان الشعر أو النثر مستحقاً لروايته والاستشهاد به

وكثير من المعنى ومن المزية البلاغية يتوقف على تقديم كلمة إلى موضع أخرى حتى فى العبارة التى لا تتجاوز كلمتين أو ثلاث كلمات

فالعالم زيد غير زيد العالم ، وما اختلف منهما إلا تبديل موضع الكلمتين

لأن « العالم زيد » قد تفيد أنك تخص زيداً بالعلم وتنفيه عن غيره ، وليس هذا مستفاداً من « زيد العالم » على هذا الوجه

وقد شرح علماء البلاغة دلالة التقديم والتأخير وعرض لها الإمام الجرجانى فقال مما قال فى دلائل الإعجاز : « ... إنه قد يكون من أغراض الناس فى فعل ما أن يقع بإنسان بعينه ولا يبالون من أوقعه ، كمثل ما يعلم من حالهم فى حال الخارجى يخرج فيعيث ويفسد ويكثر به الأذى ، إنهم يريدون قتله ولا يبالون من كان القتل منه ولا يعنيهم منه شىء ، فإذا قتل وأراد مريد الأخبار بذلك فإنه يقدم ذكر الخارجى فيقول : قتل الخارجىَّ زيدٌ ، ولا يقول قتل زيد الخارجى ، لأنه يعلم أن ليس للناس فى أن يعلموا أن القاتل له زيد جدوى وفائدة فيعنيهم ذكره ويهمهم ويتصل بمسرتهم ، ويعلم من حالهم أن الذى هم متوقعون له ومتطلعون إليه . متى يكون وقوع القتل بالخارجى المفسد وإنهم قد كفوا شره وتخلصوا منه ... » إلى آخر ما قال

على أن الحكمة فى التقديم والتأخير معنى من معانى العقل والمنطق وليست بقاعدة من قواعد اللغة وحسب

ولهذا ينص عليها فى جميع اللغات ولا يقتصر التنبيه إليها على لسان دون لسان

فالإنجليز مثلاً ينبهون إلى الفرق بين معانى العبارات إذا تغير موضع كلمة واحدة فيها ، ويمثلون لذلك بأمثلة كثيرة منها هذه الأمثلة الأربعة

١ — أنا « فقط » أتحدث بهذه القصة إلى فلان

٢ — أنا أتحدث فقط بهذه القصة إلى فلان

٣ — أنا أتحدث بهذه القصة فقط إلى فلان

٤ — أنا أتحدث بهذه القصة إلى فلان فقط

فالفرق بعيد جداً بين كل عبارة من هذه العبارات وبين سائرها لتغير الموضع الذى توضع فيه كلمة واحدة

لأن العبارة الأولى معناها أننى وحدى أتحدث بهذه القصة إلى الشخص المذكور

والعبارة الثانية معناها أننى أتحدث فقط ولا يصدر منى شىء غير الحديث ، وقد يتحدث به غيرى كذلك

والعبارة الثالثة معناها أننى أتحدث بالقصة فقط إلى فلان ، ولا يتعدى التخصيص ذلك ، فكل ما عدا هذا التخصيص فهو عام لا تقييد فيه

والعبارة الرابعة معناها أن المتحدث إليه هو فلان فقط وليس إنساناً غيره ، ولا تخصيص للقصة ولا للمتحدث ولا للحديث

وتبديل الموضع الذى توضع فيه كلمة فقط ممكن جداً لكل من أراده ، ولكن المهم هو المعنى الذى يترتب على هذا الإمكان . فإن كان المقصود أن نحافظ على معنى لا يتغير فالتبديل مستحيل أو كالمستحيل ، وإن لم يكن هنالك معنى مقصود فبدّل وقدّم وأخر كما تشاء

* * *

ونأتى إلى الأبيات التى نطق بها النبى عليه السلام فننظر ما ذا كان يترتب على التبديل فى مواضع كلماتها ؟

إن منها لأبياتاً لا يتغير منها شىء غير الوزن كالبيت الذى أنشده عليه السلام حين قال للعباس بن مرداس : أأنت القائل :

أصبح نهبي ونهب العبيد بين الأقرع وعيينة ؟ فإن البيت موزون على قول الشاعر :

وأصبح نهبي ونهب العبيـ ـد بين عيينة والأقرع

ولا فرق بين الوضعين إلا كالفرق بين قولك إن طنطا واقعة بين القاهرة والإسكندرية ، وقولك إنها واقعة بين الإسكندرية والقاهرة ، أو كالفرق بين قولك إن زيداً يجلس بين بكر وخالد ، وقولك إنه يجلس بين خالد وبكر

فهل الفرق بين قول الشاعر « ويأتيك بالأخبار من لم تزود » وقولنا « ويأتيك من لم تزود بالأخبار » هو فرق من هذا القبيل ؟

إن كان الفرق من هذا القبيل فالتبديل ممكن ، وإن لم يكن كذلك فهو مستحيل أو كالمستحيل

والمفهوم الذى لا يغيب عن سيد الفصحاء هو أن المعنيين مختلفان .

فالمفهوم من قول الشاعر أن الأخبار هى المقصودة ، وأن الشاعر يورد قوله على سبيل الاستغراب أو التحدث بالغريب الذى لا ينتظر فى الأغلب الأعم أن يكون : تسمع الخبر الذى تنتظره من مسافر لم تودعه ولم تحفل بسفره ولم تنتظر إيابه ، وهذه هى الغرابة ! وهذا موقع التنويه والاستشهاد

أما قولنا : « ويأتيك من لم تزود بالأخبار » فهو شىء آخر فى معناه ، أو هو شىء لا يستشهد به فى الموقع الذى عناه الشاعر

فنحن لا نزود التاجر المسافر بزاد ، ولكنه يعود إلينا من السفر بالبضائع والتحف ولا نستغرب ذلك ، إذ لا وجه للغرابة فى أن يسافر المسافر ولا نزوده ثم يعود إليك بشىء من الأشياء . أما أن عنيت غرابة الأمر ، وعنيت الأخبار خاصة فلا بد من التقديم ومن إظهار ما يفيد هذه الغرابة

وهذا فضلاً عن التباس آخر فى قولنا : « ويأتيك من لم تزود بالأخبار »

إذ يحتمل أن يفهم السامع أن المقصود : « من لم تزوده أنت بالأخبار » ثم ينتظر تتمة الكلام

ولا وجه لهذا الالتباس إذا لم يتبدل موضع الكلام

فتبديل مواضع الكلمات ممكن إذا نحن لم نحفل بهذا الالتباس وممكن إذا نحن تركنا المعنى الذى من أجله نظم البيت واستحق أن يروى فى مقام الاستشهاد ، وممكن إذا صرفنا النظر عن كل معنى وكل مقصد

ولكنه مستحيل أو كالمستحيل إذا أردنا المحافظة على معناه .

وهو فرق واضح لا يغيب عن سيد الفصحاء كما أسلفنا ، ولهذا رجحنا الرواية الغالبة ولم نكترث لغيرها من الروايات ، ولهذا كان ينبغى للأديب المعقب أن يتريث طويلاً قبل أن يجزم ويتحقق أن قولنا « لا يمكن تبديله غير الصحيح » فغير الصحيح هو ما قال وما قالته كل رواية توهم أن محمداً عليه السلام قد غاب عنه الفرق الواضح بين الروايتين

* * *

وما دمنا بصدد التعقيب على كتاب « عبقرية محمد » فلنذكر تعقيباً سمعناه من المذياع لطالب نجيب من طلاب الجامعة كان يتحدث عن هذا الكتاب ؛ فقد أشار إلى كلامنا عن موت إبراهيم بن النبى عليه السلام حيث نقول : « مات ذلك الطفل الصغير ومات ذلك الأمل الكبير : مات كلاهما والأب فى الستين . . . أى صدمة فى ختام العمر ؟ أى أمل فى الحياة ؟ الدين قد تم وهذه الآصرة قد انقطعت ، فليس فى الحياة ما يستقبل ويُنتظر : كل ما فيها للاشاحة والإدبار »

ثم عقب الطالب النجيب بما فحواه أن هذا يأس يتنزه عنه مقام الأنبياء

وكل ما نجيب به أن هذا ليس بيأس يتنزه عنه مقام الأنبياء ، وإنما هو علم بأن الحياة قد أصبحت للاشاحة والأدبار ، ومحمد عليه السلام كان يقول إن « معترك المنايا بين الستين والسبعين » فلا يأس فى انتظاره إدبار الحياة بعد الستين

إنما اليأس الذى يتنزه عنه مقام النبى أن ييأس من أداء الرسالة التى بعث بها إلى الناس ، وهذه قد تمت يوم مات ابراهيم ، فلا يأس فيها ، ولا حرج أن يقبل النبى بعدها على أخراه .

وما قلنا عن محمد عليه السلام بعض ما قاله بلسانه الشريف حين قال إن ما به من موت ابراهيم ليهد الجبال . ثم استرجع . وما يكون الاسترجاع إلا أن يذكر الإنسان فى كل عمر أنه تارك الحياة وراجع إلى الله !

عباس محمود العقاد